أثر النبوءات الحديثية في الدراسات المستقبلية

د. يحيى حسين أحمد(*)

ملخص البحث

يعود اختياري لهذا النمط من البحوث لعظيم ما يجري في واقع الأمة وفي دراسات مراكز البحوث لهكذا نوع من الأحداث ولعظيم الاشكال والخطأ الجسيم الذي تسرب في نفوس الأمة والتراجع والانسحاب على مدى واسع فعزمت على تدوين بعض ما سيفتح الله تعالى علينا لكي نضع الأصبع ببعض ما يجول في الخاطر حتى تكون واضحة بالنسبة لنا نحن المسلمون ولكي نرد الحق الى نصابه فنعرف ويعرف الجميع ان احاديث الفتن والملاحم. واشراط الساعة لم تكن في يوم من الأيام إلا حافزاً لكي يواجه المسلمون واقعهم بكل ثقة وبكل اصرار على فهم الاحداث وما يجري من وقائع لكي تعرف الأمة المسلمة أن ما ذكره النبي (ﷺ) من نبوءات لم يكن في يوم من الأيام الا بشارة للأمة للأخذ بالاسباب من دون الركون الى الاستسلام والانهزام وانما لمزيد من العمل والفهم لمواقع الحياة الدنيا.

قام البحث على فصلين جاء الاول بمقدمة ومبحثين هما : نبوءات الفتن وآخر الزمان / ونبواءت حول العراق. أما الفصل الثاني فجاء بمبحثين الاول موقف المسلم والنبوءات الحديثية، والمسلم وتحديات العصر.

مدخل:

لقد شغلت الأحاديث النبوية الشريفة التي تتحدث عن مستقبل الأمة الاسلامية ومصير العالم مساحة واسعة من كتب الحديث والتفسير.

حيث عقد مؤتمر في بداية شهر نيسان عام ١٩٧٧ نضمه معهد ترومان الامريكي وكلية الدراسات الاسلامية في الجامعة العربية وكان الهدف من المؤتمر دراسة

(*) مدرس، التخصص حديث نبوي، قسم الشريعة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الموصل.

النشاط الاسلامي في آسيا وشارك فيه ما يقارب من (٣٠١) خبيراً من أمريكا وكندا وبريطانيا وفرنسا وهولندا واليابان والفلبين واستراليا وأشرف على المؤتمر البروفيسور اليهودي (برافي يسرائيل) فماذا عساهم ان يبحثوا ام يخططوا باشراف هذا اليهودي.

وهكذا نجد اليهود هم الذين يرسمون سياسة العالم وهم الذين يخططون ضد الاسلام والمسلمين وبصفة خاصة في المنطقة المحيطة بكيانهم، وما كتاب "صدام الحضارات واعادة صنع النظام العالمي" لليهودي الامريكي "هنتكتون" الا صورة واضحة لأثر الفكر الصهيوني في صناعة القرار العالمي.

وانطلق الصحابة بعد موته (ﷺ) برايات الاسلام نحو الشرق والغرب ورفعوا راية التوحيد وحطموا أعتى قوى الكفر في عصرهم، ولم يكن الصحابة يتلقون هذه النبوءات تلقياً خرافياً أو جبرياً ففي حديث حذيفة بن اليمان(رضي الله عنه) حين سأله عمر (رضي الله عنه) عن الفتن فقال له "يا أمير المؤمنين ان بينك وبينها باباً مغلقاً فقال عمر ويحك أيفتح الباب أم يكسر؟ فقلت بل يكسر قال أذاً لا يغلق قلت أجل : فقلنا لحذيفة فكأن عمر يعلم من الباب، قال نعم" [(١)].

وهذا هو المنهج الذي يدفعنا الى العطاء حتى نلقى الله تعالى.

فقد روى مسلم عن ابي زيد الانصاري أنه قال : "صلى بنا رسول الله (ﷺ) صلاة الصبح ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر ثم نزل فصلى العصر ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غابت الشمس فحدثنا بما كان وما هو كائن فاعلمنا حفظنا".

وفي رواية الإمام البخاري من حديث حذيفة تعليقاً : "فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل اهل الجنة منازلهم واهل النار منازلهم حفظ من حفظه ونسيه من نسيه"[(٢)]، ويشير هذان الحديثان الى قضيتين.

الأولى : معجزة نبوية تؤكد إحاطة الوحي الذي أوحاه الله تعالى الى نبيه الكريم (ﷺ) بالحياة الانسانية وإن هذا الوحي الألهي يرسم بتفاصيل دقيقة مسار الأنسان على الارض.

الثانية : تؤكد أهمية هذه المعلومات التي اعطاها رسول الله (ﷺ) لأصحابه بحيث أستمر حديثه (ﷺ) من الفجر الى بعد الغروب وقد بث رسول الله (ﷺ) هذه

المعلومات من على المنبر لضمان انتشارها في المجتمع المسلم لكي يتدبرها العلماء وتنقل من جيل لآخر.

وهذا الأمر يدفعنا الى دراسة هذه الاحاديث وتحليلها للاستفادة منها في رسم الدراسات المستقبلية العقدية والفكرية والسياسية والاقتصادية فضلا عن معالجة المشاكل والتحديات التي تواجه الأمة في صراعها ضد اعدائها.

ومن المفارقات التي تدعو الى التأمل ان العالم اليوم يتحرك على نبوءات أسطورية ومفاهيم تزيف الحقائق، اما نحن المسلمون فلا نحمل نبوءات اسطورية ومفاهيم تزيف الحقائق بل نحمل كنوزا ثمينة من الاشارات والبشارات الالهية والحقائق التي تحدث عنها الصادق المصدوق لم يوظفوها ولم يعكفوا على دراستها في حين تستند خليفة النظام العالمي الجديد على توظيف اللاهوت لخدمة السياسة، وتاسيس الكيان اليهودي على خلفية نبوءات التوراة المزورة والقراءة التلمودية المتعصبة.

وتتحدث الامريكية غريس هالسل حول هذه القضية بقولها : "بعد عدة زيارات الى الارض المقدسة أردت ان أستكشف اكثر نظام إيماني للمسيحيين وأن أتعلم ما يعتقده الآخرون بشأن نهاية الزمن. قرأت كتاب "آخر اعظم كرة أرضية" الذي بيع منه حوالي "١٨" مليون نسخة وظل على رأس لائحة الكتب الاكثر مبيعاً خلال السبعينات وكان يباع منه اكثر من أي كتاب آخر باستثناء الكتاب المقدس[٣]، وهذا الكتاب من تأليف (هول لندسي) وهو عالم لا هوتي أمريكي يتوقع في كتابه نهاية العالم في معركة طاحنة تدعى (هرمجددون) وكان الرئيس الامريكي السابق (رونالد ريغان) اكثر الرؤساء إيماناً بهرمجدون فهو يؤمن مثل لندسي بأن الله تعالى قد قضى إن على هذا الجيل بالتحديد سيدمر الكرة الارضية. وآمن بهذه النظرية مفكرون وساسة ورجال دين أمثال جيري فالويل وجيه سوغارت وبات روبرتسون.

وهؤلاء يؤمنون ويشاركهم كثير من الرؤساء الذين حكموا الولايات المتحدة بأن اليهود لابد من أن يتمكنوا من تدمير معظم الصروح الاسلامية المقدسة في القدس حيث تذكر هالسل : "أخبرني آون عندما كنا في المدينة القديمة من القدس وهو ينظر إلى قبة الصخرة إن النبوءة الانجيلية تقضي بان على اليهود تدمير هذا الصرح وبناء معبد (هيكل)

يهودي مكانه"[٤]، وإن كان اليهود قد نجحوا في التأثير في بعض المدارس النصرانية فإن واجب المسلمين يقضي بأن يتحرك المسلمون لتوضيح الحقائق ونشرها والتحاور مع النصرانيين لفضح هذا المخطط اليهودي الخبيث الذي يوظف الصراع بين الاسلام والنصرانية لتحقيق أهدافه الاستراتيجية في إحكام سيطرته على المقدسات في فلسطين والهيمنة على القرار العالمي.

وفي التراث الكنسي اللاهوتي كثير من الحقائق التي تسلط الضوء على حقيقة اليهود إذ يخاطب السيد المسيح (عليه السلام) اليهود بقوله : "إذهبوا عني يا ملاعين الى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته، لأني جعت فلم تطعموني، عطشت فلم تسقوني، كنت غريباً فلم تؤوني عريانا فلم تكسوني، مريضاً محبوساً فلم تزوروني"[٥].

وقد أحدثت انتصارات اليهود في العصر الحديث صدمة شعورية لدى المسلمين "وهكذا تحدث التحولات في مجرى حياة الأمم عندما تلقى الاحجار في مائها الراكد والارض حينئذ تفسد إذا ظل الباطل فيها متفردا متمردا وتفسد إذا بقي فيها مجردا مطارداً، فلا بد ان يدفع الله الحق لملاقاة الباطل وليس بين الحق والباطل معركة إلا في ساحات الديانات وميادين العقائد... بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون[٦].

الفصل الأول
النبوءات الحديثية

المبحث الأول
نبوءات الفتن وآخر الزمان

ان كثيراً من المسلمين عندما يتلقى أحاديث الفتن وعلامات الساعة لا يتفاعل معها تفاعلاً إيجابياً وإنما يتلقاها بعقلية إستسلامية إنسحابية ويبدو أن أوضاع المسلمين في هذا العصر وسطوة الباطل وتراجع المسلمين في سلم الحضارة الانسانية أدى الى بلورة عقلية الاستلاب وعقلية الانتظار فالبعض ينتظر قيام الساعة والبعض الآخر ينتظر ظهور المهدي للخلاص وهكذا تغيب الذاتية والموضوعية وتطغى العقلية الجمعية المنفعلة بردود الفعل والاستجابة الشرطية التي تلغي العقل والشعور بالمسؤولية تجاه الأحداث وهذا المنهج في تلقي أحاديث الفتن والنبوءات يخالف منهج الصحابة والسلف الصالح، فقد تطلع الصحابة الى البشارات النبوية ووضعوها في خططهم وبرامجهم ويحذرون من العلامات التي ذكرها رسول الله (ﷺ) على أنها من علامات الساعة ويبادرون الى إزالتها وإقامة السنن فإن قيام الساعة ليس زمناً بالنسبة للمنهج الاسلامي، وإنما هو مواصفات اجتماعية وظواهر تطغى على العلاقات الانسانية، وإذ ما تفشت وانتشرت، استحق ذلك الجيل ذلك الوصف الذي يقيم الله بسببه وعليه الساعة وينهي الوجود الانساني على الأرض ففي الحديث عنه (ﷺ) : "بين يدي الساعة أيام يرفع فيها العلم ويكثر فيها الجهل ويكثر فيها الهرج والهرج القتل"[٧].

لذا على المسلمين إلا ينتظروا وقوع الاحداث بل عليهم أن يصنعوا الاحداث، وإن ظهور العلامات الصغرى لا يعني التوقف عن العمل وانتظار العلامات الكبرى فإن عقيدة الانتظار، دمرت فاعلية الأمة وأسلمتها الى دوامة اليأس ففي الحديث الصحيح عن النبي (ﷺ) : "ليحجن هذا البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج وما جوج"[٨].

ومن الاحاديث المهمة التي ترتبط بعصرنا الحالي مما يحدده رسول الله (ﷺ) من علامات الساعة غدرة بني الاصفر بعد هدنة وعلاقة، عن عوف بن مالك قال : "أتيت

النبي ﴿ﷺ﴾ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم فقال أعدد ستاً بين يدي الساعة، موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم إستفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً ثم فتنة لا يبقى بيتاً من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الاصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية"[٩].

وبنو الاصفر هم الروم يأتون تحت ثمانين راية تحت كل راية أثنا عشر الفاً فيكون مجموع الجيش مائتين وأربعين ألفاً وهو رقم مقارب لما يعلنه الغرب من تجهيز جيش الشر حين تم ضرب العراق، ففي الحديث : "لا تقوم الساعة حتى يجمع العدو لأهل الاسلام ويجمع لهم أهل الاسلام، قلت الروم تعني قال نعم ويكون عند ذاكم القتال ردة شديدة"[١٠].

ويكون شعار المسلمين في المواجهة (لا اله إلا الله والله أكبر)، وفي روايات (تفتح المدن الكبرى)[١١]، وعلى هذا الاساس من الفهم لأحاديث الفتن تفاعل الصحابة فقد حاول أبو بكر ﴿ﷺ﴾ رسم خطة دولته فيما يتعلق بمعالم سياسة الدولة للمرحلة المقبلة استناداً الى دلالات الأحاديث النبوية حول الفتوحات وانتشار الاسلام وكذلك كان عهد عمر بن الخطاب ﴿ﷺ﴾ وبقي الخلفاء يستشرفون أحاديث البشارات ومنها حديث فتح القسطنطينية فقد بنى معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) أسطولاً وهو يطمح أن تتحقق على يديه بشارة الفتح.

وقد تفرد البخاري عن أم حرام (رضي الله عنها)، عن النبي ﴿ﷺ﴾ أنه قال : "أول جيش من أمتي يغزون البحر قد اوجبوا، قالت أم حرام فقلت يا رسول الله أنا فيهم؟ قال : إنك فيهم، قالت : ثم قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ أول جيش من أمتي يغزو مدينة قيصر مغفور لهم قلت أنا فيهم يارسول الله ؟ قال لا"[١٢].

وتحققت نبوءة الرسول ﴿ﷺ﴾ وغزا معاوية (رضي الله عنه) قبرص وقبر أم حرام اليوم في تلك الجزيرة شاهد على ذلك التفاعل الصادق بين النبوءة وإيمان الصحابة، وفي حديث آخر قال فيه ﴿ﷺ﴾ : "لتفتحن القسطنطينية فنعم الأمير أميرها ونعم الجيش ذلك الجيش"[١٣]، وبقي الخلفاء يراودهم حلم تحقيق النبوءة حتى حققها الله على يد السلطان العثماني (محمد الفاتح) الذي حاز البشارة.

المبحث الثاني

نبوءات حول العراق

تحدث رسول الله (ﷺ) أحاديث دقيقة حول العراق الذي لم يكن في عصره (ﷺ) تحت دولة الاسلام ولكنه كان يتحدث عنه وكأنه عمق الاسلام فقد ذكر رسول الله (ﷺ) الشام والعراق واليمن فقال : "اللهم أقبل بقلوب هؤلاء على طاعتك وحط من ورائهم"[١٤]، كما تحدث رسول الله (ﷺ) عن حصار العجم لأهل العراق في حديث صحيح السند إذ قال (ﷺ) : "يوشك أهل العراق ان لا يجبى اليهم قفيز ودرهم قلنا من أين ذاك ؟ قال : من قبل العجم يمنعون ذلك ثم قال رسول الله (ﷺ) يوشك اهل الشام ان لا يجبى اليهم دينار ولا مُدْ قال من قبل من: كم قبل الروم ثم سكت هنيهة قم قال رسول الله (ﷺ) يكون في آخر الزمان رجل من أمتي خليفة يحثو المال حثواً لا يعده عداً، قال : قلت لأبي نضرة كأنه عمر بن عبد العزيز فقال : لا" [١٥].

وفي حديث آخر ينظر رسول الله (ﷺ) صوب العراق، فيقول : "ما أرادهم أحد بسوء إلا أتاهم الله ما يشغلهم عنهم"[١٦]، وهناك أحاديث نبوية تؤكد دور العراق في عودة الاسلام الى الارض بعد تراجعه في بلاد المسلمين فقد روى ابن ماجة عن رسول الله (ﷺ) "يخرج ناس من المشرق فيواطئون للمهدي، يعني سلطانه"[١٧]، ومعنى الحديث : أن هؤلاء الناس سيؤدون دوراً مهماً في عودة الأمة الى الاسلام.

وفي حديث آخر "يخرج من المشرق رايات سود فلا يردها شيء حتى تنصب بايلياء"[١٨].

وقال علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) عن العراق أو الكوفة التي كانت تمثل العراق "ليصون الله عز وجل بأهلها، أي اهل الكوفة" في شرق الارض وعز بها كما انتصر بالحجاز"[١٩] وكان العراق محط انظار الخلفاء والقادة.

فهو البلد المبارك الذي أودع الله تعالى فيه خيرات الدنيا ففيه الأنهار والبساتين والجبال والسهول ولا يوجد في الارض بلد مثل العراق اجتمعت فيه البركات والخيرات، وكذلك قال الهمداني : "من ولي العراق فقد ولي البصرة والكوفة والاهواز وفارس وكرمان والهند والسند وسبحستان وطبرستان وجرجان"[٢٠].

هناك نظرية سياسية تقول أذا أردت ان تسيطر على العالم فلا بد من ان تسيطر على الشرق الاوسط وإذا أردت ان تسيطر على الشرق الأوسط فعليك ان تسيطر على العراق، وفي الرقم الطينية والآثارية كان لقب ملك الجهات الأربع يطلق على ملك العراق القديم ولا شك أن أثر العوامل التاريخية والجغرافية والطبيعية قد انعكس على بناء الشخصية العراقية وقال بعض أهل النظر "أهل العراق هم أهل عقول صحيحة، وشهوات محدودة وشمائل موزونة وبراعة في كل صناعة مع اعتدال الاعضاء واستواء الاخلاط وسمرة الألوان وهي أعد لها وأقصدها وهم الذين أنضجتهم الارحام فلم تخرجهم بين أشقر وأصهب"(٢١)، وقال أبن كثير "ينصر الله دينه من أهل المشرق ينصرونه وتكون راياتهم سوداء وهو زيُ الوقار، دلالة على المعنى الرمزي، لأن راية رسول الله (ﷺ) كانت سوداء يقال لها العقاب وقد ركزها خالد بن الوليد على الثنية التي هي شرقي دمشق حين أقبل من العراق فعرفت الثنية بها فهي الآن يقال لها ثنية العقاب وقد كانت عذاباً على الكفرة من الروم"(٢٢).

يتبين لنا مما مضى ان النبي (ﷺ) ما ذكر من احداث تحقق بعضها ولم يتحقق البعض الاخر تؤكد ان هناك دورا مهما في عملية الصراع الذي سيدور ضد الباطل وان ذلك سيدفعنا الى استشراف لجيل النصر والتمكين وهو يدعو المؤمنين الى الثبات ويبشرهم في اشارات اخرى بانه سيكون الشجر والحجر والوجود كله مع المؤمنين باستثناء اولئك الذين حجب الله تعالى عنهم المعاني العظيمة التي استقرت في قلوب المؤمنين وحررتهم من الخوف والذل وبقي المحجوبون محبوسين خلف سور المعاصي وحجاب الغرور

الفصل الثاني

النبوءات الحديثية والموقف منها

المبحث الأول

المسلم والنبوءات الحديثية

أقول :

ان السنة النبوية المطهرة قد حفلت باحاديث الفتن والتي اخبرت بنبوءات ينبغي علينا ان نعلمها لنعلقها بالمستقبل وان وقوعها سيحقق إعجازا غيبيا للنبي – صلى الله عليه وسلم– الى جانب معجزاته الكثيرة التي ظهرت بين يديه من قبل والواجب علينا تصديق كل ما اخبر به – صلى الله عليه وسلم – في هذا الباب فالحذر تعطيل النصوص التي اخبر النبي –صلى الله عليه وسلم– فيها بما سوف يقع كما اخبر من غير زيادة ولا نقصان. ومن المعلوم كذلك في تعطيلها : ان تصرف عن ظاهرها لان الشرع لم يأت بالغاز تحار فيها العقول، بل اوضح مراده بلسان عربي مبين قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[٢٣]اية. اذا فلا بد لنا من أمر يعصم المسلم من الوقوع في الفتن. لذا يخبرنا الله سبحانه وتعالى بان الساعة قد اقترب موعدها في ايات عدة قال تعالى ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرِضُونَ﴾[٢٤]. كما اخبرنا بان اشراطها أي علاماتها قد جاءت منها قوله سبحانه {فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾.[٢٥]. وكثيرا ما كان يسأل النبي – صلى الله عليه وسلم– عن الساعة وكان صلى الله عليه وسلم – على علم ان الساعة علمها عند الله. لان الله تعالى يقول ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾[٢٦] فقد كان جواب النبي – صلى الله عليه وسلم– الى ان الساعة لن تقوم حتى يروا اشراطها وينبغي للناس ان يكونوا بعد ظهور اشراط الساعة قد نظروا لانفسهم واستعدوا للساعة الموعودين بها.

وقد قسم ابن كثير رحمه الله في كتابه النهاية في الفتن والملاحم وغيره اشراط الساعة الى قسمين.

القسم الاول: - الاشراط الصغرى.

والقسم الثاني: الاشراط الكبرى.

فالاشراط الصغرى هي التي تظهر قبل موعد الساعة بفترات متطاولة وأزمان متباعدة تكون معتادة الوقوع. وهذه الاشراط عند العلماء على ثلاثة اقسام: - [٢٧]

١- يسمونها الامارات البعيدة.

٢- الاشراط التي ظهرت ولم تنقض بل تزايدت وتكاثرت ويسمونها الامارات المتوسطة وهي كثيرة.

٣- اشراط لم تظهر بعد ولم يقع منها شيء ولكنه سيقع.

القسم الثاني: الاشراط الكبرى.

وهي التي تقارب قيام الساعة وهي التي في ذاتها غير معتادة الوقوع فاذا ظهرت كانت الساعة على اثرها. منها خروج الدجال وهو من أعظم الفتن لان الدجال منبع الكفر والضلال والفتن. ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وغيرها.

وهنا نستطيع كذلك ان نقول وكما قال الامام القرطبي رحمه الله : ((ان ما اخبر به النبي -صلى الله عليه وسلم- من الفتن والحوادث ان ذلك يكون، وتعيين الزمان في ذلك من سنة كذا يحتاج الى طريق صحيح يقطع الغدر وانما ذلك الوقت قيام الساعة فلا يعلم احد أي سنة هي ولا أي شهر. اما انها تكون في يوم الجمعة في اخر ساعة منه، وهي الساعة التي خلق الله فيها ادم -عليه السلام- لكن أي جمعة، لا يعلم تعيين ذلك اليوم الا الله وحده لا شريك له وكذلك ما يكون الاشراط تعيين الزمان لها لا يعلم.[٢٨]

المبحث الثاني

المسلم وتحديات العصر

ان اصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم- حدثهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم- واخبرهم عن ابواب الفتن في احاديث اشراط الساعة. وما كان منها وما يكون. وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم وكما اخرج الامام البخاري رحمه الله – اخبرهم عما سيكون الى قيام الساعة عن حذيفة – رضي الله عنه – قال – لقد خطبنا النبي – صلى الله عليه وسلم- خطبة ما ترك منها شيئا الى قيام الساعة علمه من علمه وجهلة من جهلة، ان كنت لارى الشيء قد نسيت فاعرف كما يعرف الرجل اذا غاب عنه فراه فعرفه.(٢٩)

واخرج الامام مسلم – رحمه الله ايضا عن حذيفة-رضي الله عنه-

قال : – (اخبرني رسول الله – صلى الله عليه وسلم- بما هو كائن الى ان تقوم الساعة فما منه شيء الا وقد سألته، الا أني لم أسأله ما يخرج اهل المدينة من المدينة)) (٣٠).

قال الحافظ بن حجر –رحمه الله- في النكت الظراف (٣١)قد عرف ذلك أبو هريرة –رضي الله عنه-

اخرج عمر بن شيبة ان ابا هريرة –رضي الله عنه- قال : ليخرجن اهل المدينة من المدينة خير ما كانت قبل من يخرجهم يا أبا هريرة ؟ قال : امراء السوء...(٣٢)

ان اهم ما يستفاد من روايتي حذيفة بن اليمان –رضي الله عنه.

اولا: اخبار حذيفة رضي الله عنه- من لسان رسول الله –صلى الله عليه وسلم- بالمجلسين بما سيجري وما يقع من حوادث جسام في المستقبل وفتن تعد من علامات واشراط الساعة.

ثانيا: قوله رضي الله عنه – علمه من علمه وجهله من جهلة.

منه اشارة الى عامل الاستيعاب والادراك بحديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم- بالكمال والتمام – لما سيقع من امور عظام في اخر الزمان.

ثالثا: لفظه –رضي الله عنه- ان يعرف الفتنة –والمراد بذلك انه المخبر المستقل عمن سواه من الصحابة –رضي الله عنهم. بقوله (وان كنت لارى الشيء قد نسيت في لفظ) نسيته. وقد وقعت الفتن والمحن والبلايا بين الناس وانتشرت -كما اخبر بذلك حذيفة بن اليمان –

رضي الله عنه – عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فان من شأن حذيفة في الرواية انه برع في ايصال حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم- واحاديث الفتن واشراط الساعة وبما هو كائن الى يوم القيامة.

وفي هذا ايضا اشارة الى الفهم الواعي للنص الشرعي فيجب على كل قارىء لاحاديث الفتن واشراط الساعة الوعي الكامل لهذه النصوص دون النزوع الى عامل الخلط والخوض مع الخائضين بل عليه ان يسير على منهج العلماء وطريقتهم دون التعامل مع احاديثه الفتن وشروحها ومحاولة انزالها واسقاطها بما يجري من واقعاته.؟

فأقول : – ان النبي – صلى الله عليه وسلم- حذر امته من الفتن كما حذر من الوقوع فيها وانها لا تنزل على واقع حاضر وانما يظهر لنا صدق النبي – صلى الله عليه وسلم.

بما اخبر به من حدوث الفتن بعد حدوثها وانقضائها مع الحذر من الفتن لان المسلمين لهم موقف في هذه المسالة وانما يجب عليهم ان يذكروا الفتن والملاحم واشراط الساعة محذرين منها مباعدين للمسلمين من غشيانها لهم او من القرب منها لاجل ان لا يحصل بالمسلمين فتنة. ولاجل ان يعتقدوا صحة ما اخبر به النبي – صلى الله عليه وسلم.

اما الاحداث التي عصفت باصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم-

والتي كادت ان تفتن الناس بعد ان امتحنت دينهم واخلاقهم وثباتهم على المبدأ والعقيدة.

فأقول : – ان الروايات الواردة في سرد احداث الفتن التي وقعت في عهد اصحاب رسول الله والتي اخبر عنها رسول الله –صلى الله عليه وسلم- والتي سيقع لبعضها تباعا وهي كثيرة فلا بد لنا من اخضاع هذه الروايات لعملية النقد بنوعيه الداخلي والخارجي.

اما الخارجي فنحكم فيه علم المصطلح في الحديث لنعرف صحيح هذه الروايات من كاذبها ثم نأتي بعد ذلك الى عملية النقد الداخلي للاخبار.

من حيث هي اخبار فتتلائم وتنسجم في صحتها وضبطها وتستحق في منطقها كذلك من حيث موافقتها للروايات الصحيحة التي اقتصرت على ذكر جزئيات من اخبار هذه التي كان لاصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم- موقف واضح منها حيث قال ابن حجر في الفتح" وذهب جمهور الصحابة والتابعين الى وجوب نصر الحق وقتال الباغين وحمل هؤلاء الاحاديث الواردة من ضَعُفَ عن القتال أو قصر نظره عن معرفة صاحب الحق...

وحمل هؤلاء الوعيد المذكور في الحديث على من قاتل بغير تأويل سائغ بل بمجرد طلب الملك. (٣٣) واذا ما أردنا ان نحكم على تلك الروايات في ضوء علم المصطلح. فلا بد ان نقول كما قال صاحب الكفاية " ان صاحب البدعة لا يقبل خيره فيما يدعم بدعته"(٣٤).هذا في صاحب البدعة الثقة فاننا لا نقبل هذا النوع من رواياته. فما ظنك براو واعتبره العلماء ضعيفا ويروي ما يؤيد بدعته ؟ فهذا أحرى ان لا تقبل روايته. ان اخبار النبي –صلى الله عليه وسلم– عن المغيبات – والنبوءات تستدعي اولا شغف مطالع السنة وانتباهه. وهذه ايضا تلفت نظرنا باستمرار لمعرفة ماذا يمكن ان نستفيد من هذا الحشد الهائل من الاحاديث النبوية التي تتحدث عن الفتن واشراط الساعة.ان الفائدة المرجوة من هذا الحشد من احاديث النبوءات بل ان معيار الحق في الفائدة ان تخرج من الفتن مع ظلمتها وشدة سوادها ولم نصب مالا او دما او حراما وفي هذا يقول النبي –صلى الله عليه وسلم– (ان السعيد لمن جنب الفتن ولمن ابتلي فصبر فواهاً) فهذا هو الموقف والميزان الذي يجب على المسلم ان يزن به الامور يدرك الاحاديث التي جاءت في الفتن واشراط الساعة حتى يدرك هل وقع في الفتنة ام ان الله تعالى انعم عليه وجنبه اياها. (٣٥)

الخاتمة:

لقد وضحت الاحاديث والنبوءات الحقائق الآتية :

١. أهمية ادخال ودراسة النبوءات الحديثية والنصوص القرآنية التي تضمنت الاشارة الى الأمور المستقبلية في الدراسات المستقبلية والبحوث التي تعنى بالصراع والأيديولوجية ومما يؤسف له ان نجد الغرب واليهود قد سبقوا المسلمين في هذا المجال وادخلوا هذه المعلومات في برنامج دراساتهم وبحوثهم ودرسوا الاسلام أكثر من المسلمين ورسموا الخطط لمواجهته وعزله عن الحياة.
٢. تحتاج الاحاديث التي أشارت الى علامات الساعة والى الفتن في آخر الزمان الى رؤية عصرية تحليلية وإنها لا تعني الانتظار والاستسلام أمام ظواهرها وانما تحتاج الى حملها محمل الجد والاعتبار بها والاهتداء بمدلولاتها وهذا هو منهج الصحابة الكرام فان بعثة الرسول (ﷺ) كانت علامة من علامات الساعة وكان

عليه الصلاة والسلام يشير بإصبعيه السبابة والوسطى ويقول "بعثت والساعة كهاتين" ومع هذه الاشارات والنصوص الواضحة على اقتراب الساعة مع بعثته (ﷺ) فإن بعثته كانت بداية مشروع الاسلام العظيم الذي اختاره الله آخر الاديان ليظهره على الدين كله.

هوامش البحث ومصادره:

(١) النبوءة والسياسة : ٩، ترجمة محمد السماك، نسخة مصورة عن الاصل لكتاب غريس هالسل.

(٢) ينظر صحيح البخاري بشرحه مع الفتح : رقم ٣١٩٢، ٣٥٣/٦ كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ للأمام ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م. ينظر النهاية في الفتن والملاحم : ١٩/١ لابن كثير الدمشقي "ت٧٧٤هـ" تحقيق عصام الدين الصبابطي، دار الحديث القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٣) النبوءة والسياسة : ٩، ترجمة محمد السماك، نسخة مصورة عن الاصل لكتاب غريس هالسل.

(٤) المرجع نفسه، ١٥.

(٥) الكتاب المقدس، العهد الجديد "اجيل متى" أصحاح ح٢٥، الناشر مؤسسة كتاب الحياة، ط٤، اسبانيا، ١٩٩٤، النبوءة والسياسة، لغريس هالسل، ط١٥.

(٦) الانبياء، ١٨.

(٧) أخرجه الأمام احمد : ٣٨٤/٦، "٣٨٤١"، ٣٣٢/٧٠، "٤٣٠٦"، من طريف الاعمش وهو سليمان بن مهران وعمان شقيق هو ابن سلمة، صحيح البخاري بشرح الفتح : "٧٠٦٤" ١٧/١٣ كتاب الفتن، باب ظهور الفتن. النهاية في الفتن والملاحم : ٢٨/١، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٨) صحيح البخاري بشرح مع الفتح : "١٥٩٣" ٣/٥٨٠ دار الكتب العلمية، واخرجه الامام احمد "١١٢١٩" ١٧/٣١٨ و "١١٤٥٥"، ١٨/٣٨-٣٩، "١١٦١٧"، ١٧/٢١٤، وأخرجه ابو يعلى : "١٠٣٠" وابن خزيمة "٢٥٠٧"، وابن حبان "٦٨٣٣" من طريف سليمان بن داود الطيالسي بهذا الاسناد عن ابي سعيد الحذري وهو حديث صحيح وهذا اسناد حسن.

(٩) اخرجه الأمام احمد في مسنده : ٣٩/٣٩٢-٣٩٣، "٢٣٩٧١"، واخرجه الحاكم في المستدرك : ٤/٤١٩-٤٢٢-٤٢٣ ن وقال حديث صحيح ووافقه الذهبي.

(١٠) صحيح مسلم بشرح النووي : ٩/١٧٥ "٢٩٢٠" كتاب الفتن واشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بالقبر، وقال صاحب التحفة بمعرفة الأطراف تغروبة مسلم وهو صحيح الاسناد، النهاية في الفتن والملاحم : ١/٦٣.

(١١) المصدر نفسه : ٩/١٧٥، "٢٩٢٠".

(١٢) صحيح البخاري بشرحه مع الفتح : ٦/١٢٧، "٢٩٢٤" من طريف عن ثور بن يزيد بن خالد بن معدان، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في قتال الروم، واخرجه الامام احمد في مسنده : ٤٥/٤٤٥-٤٤٦، "٢٧٤٥٤" بقوله حديث أمراة عن عطاء بن يسار، حدثته والصحابية هنا هي : أم حرام بنت ملحان ولكنه صرح بأسمها في رواية أخرى : ٤٤/٥٨١-٥٨٢، "٢٧٠٣٢".

(١٣) اخرجه الأمام احمد في المسند ك ٣١/٢٨٧، "١٨٩٥٧" من حديث بشر الخثعمي واسناده فيه ضعف وذلك لجهالة عبد الله بن بشر الخثعمي فقد انفرد بالرواية عنه الوليد بن المغيرة المعافري ولم يؤثر توثيقه غير ابن حيان، وأورده الهيثمي في "المجمع"، ٦/٢١٩، وقال هو حديث صحيح ورجاله تقات.

(١٤) الروض الداني الى معجم الطبراني : ١/١٧٤، وقال عنه رجاله رجال الصحيح . تحقيق محمد شكور المياديني، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، المكتب الاسلامي، بيروت – لبنان، دار عمار، عمان–الاردن.

(١٥) صحيح مسلم بشرح النووي : "٢٩١٣"، ٩/١٧٠-١٧١، كتاب الفتن واشراط الساعة باب لا تقوم الساعة حتى يسر الرجل بقبر الرجل فيتمنى ان يكون مكانه، وعنه السيوطي في "الديباج" : "٢٢٢٦" ومثله في "القناعة"، ١٠٦، للإمام السنحاوي وصاحب "عون المعبود" : ٢٨٢/٨، وصاحب السراج الوهاج : ٣٦٧/١١.

(١٦) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ٦٤/١٠.

(١٧) أخرجه ابن ماجة : ٢/"٤٠٨٨"، كتاب الفتن باب خروج المهدي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، أقول : وفي اسناده عمر بن جابر الحضرمي، وعبد الله بن طيعة، وضعيفان، الناشر : دار الحديث، القاهرة، وأورده الالباني في الضعيفة" ٤٨٢٦ط، ينظر النهاية في الفتن والملاحم : لابن كثير : ٤٠/٣٨/١.

(١٨) المصدر نفسه، والنهاية في الفتن والملاحم : ٤٠/١-٤١.

(١٩) مختصر تاريخ البلدان : للمهداني : ١٦٣.

(٢٠) المصدر نفسه : ١٦٣.

(٢١) المصدر نفسه : ١٦٣.

(٢٢) النهاية في الفتن والملاحم : ٤٠/١، لأبن كثير الدمشقي.

(٢٣) سورة ابراهيم (٤٠).

(٢٤) الانبياء اية (١).

(٢٥) محمد الاية (١٨).

(٢٦) الاحزاب (٦٣)

(٢٧) لوامع الانوار البهية وسواطع الاسرار :- ٢ / ٦٢ للسفاريني.

(٢٨) التذكرة في احوال الموتى وامور الاخرة - ٦٢٨ للامام الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر ابي بكر القرطبي (٦٧١ هـ). الناشر دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان. بدون تاريخ.

(٢٩) صحيح البخاري مع الفتح: - ١١ / ٦٠٤.

(٣٠) صحيح مسلم بشرح النووي - ١٥٢/٩ - (٢٨٩١) كتاب الفتن واشراط الساعة باب ما يكون الى قيام الساعة.

(٣١) النكت الظراف عن الاطراف: ٣/٤٧- (٢٦٢٢) وفيه تعليقات الحافز بن حجر العسقلاني صححه وعلق عليه عبد الصمد شرف الدين ط (١) دار الكتب العلمية. بيروت – لبنان.

(٣٢) المستدرك على الصحيحين: ٤ / ٤٧٢ حققه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية. ط١.

(٣٣) صحيح البخاري مع الفتح: – ١٣ / ٥٤ الناشر دار الكتب العلمية.

(٣٤) الكفاية في علم الرواية: للخطيب البغدادي ١٩٥.

(٣٥) اخرجه ابو داود: ١٠ / ٢١٤ (٤٢٦٣).

(٣٦) الضوابط الشرعية لموقف المسلم من الفتن: ٣٨ – ٣٩.